وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية
المرحلة الماجستير

محاضرات ماجستير طرائق تدريس اللغة العربية دراسات ادبية

النثر الفني

اعداد

أ.م.د ياسمين أحمد علي

مفهوم النثر العربي

النثر لُغَةً رَمي الشيء متفرقًا، وعكسه النظم فهو الضم والتأليف. ومن ذلك قال الأدباء: كلام منثور إذا كان لا يقيده وزن وقافية، وكلام منظوم إذا كان موزونًا مقفًّى.

النثر : هو أحد قسمي الأدب الرئيسيين " الشعر والنثر يتميز عن الشعر بخلوصه من كل قيد إلا قيد سلامة اللغة ، واستقامة المعنى ، وجودة التعبير وهو أنواع ثلاثة : النثر الأدبي " الخطبة ، والأقصوصة ، والرواية ، والمسرحية والنثر العلمي والنثر الفلسفي.

ميزة النثر الجاهلي

النثر في الجاهلية موسيقيٌّ كالشعر، تتخلَّله أحيانًا جمل موزونة مسجعة يأتي بها البدويُّ دون تكلف، وأكثر الجمل قصيرة موجزة، فيها قوة وبلاغة تعبير، ويمكننا أن نجد أمثلة للنثر الجاهلي في بعض ما وصل إلينا من الخطب والأمثال، ولكن هذه الأمثلة — على قلتها — لا تكفي وحدها لإبداء رأي صحيح في هذا الفن الأدبي

أسباب قلة النثر الجاهلي:

إن ما روي من النثر الجاهلي قليل بالنسبة لما روي من الشعر وذلك للأسباب الآتية:

١- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.

٢- الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.

٣- قلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية.

خصائص النثر الجاهلي:

١- وضوح المعاني وأصالتها: فهي مستمدة من القيم الخلقية، والفضائل الاجتماعية التي تعرفها وترضيها المروءة العربية في هذا العصر، كما تصدر عن عاطفة صادقة عن عفو الخاطر دون تكلف أو مبالغة، كما تتميز هذ المعاني بالوضوح بعيدا عن الغموض.

٢- كثرة الأمثال والحكم: فالمتتبع والقارئ للنثر الجاهلي بجميع أقسامه يجده مليئا بالحكم والأمثال التي تعبر عن تجارب الجاهليين في الحياة؛ لذلك جاءت وصاياهم وخطبهم بسيطة تعبر عن بساطة الحياة. صفاء التعبير والابتعاد عن التكلف في الصياغة: حيث يتصف النثر الجاهلي بأنه قصير الجمل، وجزل الألفاظ، وجميل الصياغة، كما أن أسلوبه قد يكون مرسلا في الكثير من الأحيان، أو مسجوعا منسجما مع الفطرة البدوية التي لا تعرف التصنع والغرابة.

٣- قلة التصوير الفني: لا يخلو النثر الجاهلي من الصور الفنية، والتشبيهات، والكنايات المختلفة ولكنها قليلة؛ وذلك لان الإنسان الجاهلي يميل إلى التقرير في عرض الأفكار، كما أن هذه التشبيهات مستندة من البيئة الحسية المحيطة بالعرب، كقولهم: (أن ترد الماء بماء اكيس) حيث يضرب هذا المثل في اخذ الحيطة والحذر.

النثر الفني في عصر صدر الاسلام

الهدف من فن الخطابة هو استمالة الآخرين إلى رأي أو موقف، لذلك فقد لا يخلو مجتمع من هذا الفن

جاء الإسلام فأيقظ العرب فانطلقت ألسنتهم، وظهر فيهم الكُتَّاب والخطباء والشعراء، وكان من دواعي ذيوع البلاغة وشيوع الكتابة والخطابة في تلك الأمة التي توارت في

الصحراء زمنًا غير قليل، وأول مظهر لقوة الخطابة والكتابة هو التنافس الشديد الذي قام بسبب الخلافة، فقد كان كل حزب من المهاجرين والأنصار يدعو لنفسه سرًّا وعلانية عن طريق الخطب والرسائل، والمجادلات التي كانت تثور في المجالس والمساجد والأسواق.

ثم كانت الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فظهرت حاجة الفريقين إلى البلاغة، واشتدت الرغبة في نشر الدعوة في الأمصار الإسلامية، ولم يكن حظ هذه النهضة الأدبية كحظ النهضة التي سبقتها في الجاهلية؛ لأن العرب شرعوا يتحضرون ويسلكون سبيل الأمم الممدنة في التدوين، فكان من أثر ذلك أن حفظت آثار الكتاب والخطباء؛ بحيث يستطيع الباحث أن يعيِّن مظاهر النثر وخواصه في عصر بني أمية وصدر عصر بني العباس.

وأول ما ينبغي إثباته من خواص النثر هو عمقه وقوته بفضل تأثره بالآداب الأجنبية التي عرفها العرب حين انبثوا بفضل الإسلام في الممالك التي فتحوها، واكتسبوا بالمعاشرة والمصاهرة روحًا جديدًا ظهر أثره في الخطب والرسائل والمحاورات، حتى ليمكن أن يقال: إن الفتح والملك أعطاهم من قوة الملاحظة ودقة التفكير ما لم يعطهم القرآن وحده لو ظلوا محصورين في أرجاء الجزيرة العربية.٢لنثر قسيم الشعر في الأدب العربي، وتتفاوت مكانته بتفاوت الأزمان والظروف. ولقد عرف العرب في العصر الجاهلي النثر متمثّلاً بالخطابة بالدرجة الأُولى، وبنمط آخر من أقوال تنسب إلى الكهّان، أُدخلت ضمن النثر الفنّي، لأنّهم كانوا يتقصّدون فيها الصنعة

خصائص النثر الفني في عصر صدر الاسلام

١-أَصْبَحَ النَّثْرُ بأَنْواعِه أداةَ الدَّعْوةِ ولِسانَ الدَّوْلةِ الإسْلاميَّةِ كافَّةً.

٢-تَتبُعُ مَعاني النَّثْرِ الإسلاميِّ مِن مَعينِ النُّبوَّةِ وأدَبِ القُرآنِ الكَريمِ؛ مِن الدَّعْوةِ إلى التَّوْحيدِ والخُلُقِ، والفَضيلةِ والحَقِّ، وجَميعِ أنْواعِ البِرِّ.

٣-المَعاني مُنْتظِمةً والأفْكارُ مُرَتَّبةً؛ فكلُّ كَلِمةٍ لها مُهمَّةٌ تُؤَدِّيها.

٤-امْتازَ النَّثْرُ في هذا العَصْرِ ببُعْدِه عنِ الإغْرابِ، وعَدَمِ اسْتِعمالِ السَّجْعِ إلَّا في القَليلِ النَّادِرِ.

٥-يَكثُرُ فيه الاقْتِباسُ مِن القُرآنِ ومِن الحَديثِ النَّبَويِّ،

٦-بَعُدَتِ الألْفاظُ عن الغَرابةِ والوَحْشيَّةِ،

النَّثْرُ في العَصْرِ الأُمَوِيِّ

كانَ العَصْرُ الأُمَويُّ خُطوةً تاليةً لمَسيرةِ التَّطوُّرِ الَّتي ابْتَدَأها عَصْرُ صَدْرِ الإسلامِ؛ إذ تَنَوَّعَتِ الخُطَبُ وكَثُرَتْ، واسْتَحدَثَتْ لها مِن الأغْراضِ والمَعاني الكَثيرَ، كما أنَّها هذَّبَتْ بعضَ الأغْراضِ القَديمةِ وأهْمَلَتْ ما لا يَليقُ بالدِّينِ مِن الأغْراضِ البالِيةِ، كالدَّعْوةِ إلى الشِّرْكِ، وإثارةِ العَصَبيَّاتِ القَبَليَّةِ،

فشهدت الكِتابةُ والخطابة طَفْرةً بَيانيَّةً وقد رَأيْنا رَسائِلَ عُثْمانَ بنِ عفَّانَ إلى عليٍّ، والمُراسَلاتِ الَّتي بَيْنَ الامام عليٍّ عليه السلام ومُعاوِيةَ وما فيها مِن الأُسلوبِ البَلاغيِّ، والاعْتِناءِ بالتَّنْميقِ والسُّموقِ البَيانيِّ.

غيْرَ أنَّ الفُنونَ الأدَبيَّةَ النَّثْريَّةَ تَطوَّرَت بصورةٍ جَذْريَّةٍ في العَصْرِ الأُمَوِيِّ، وقد هيَّأَ لذلك عِدَّةُ أمورٍ سِياسيَّةٍ ودينيَّةٍ وعِلميَّةٍ:

أمَّا السِّياسيَّةُ فإنَّ الأمورَ لم تَهْدَأْ بتَنازُلِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ لمُعاوِيةَ بالخِلافةِ؛ إذ كانَ قد سَبَقَ ذلك أنِ انْفَصَلَتْ فِرْقةُ الخَوارِجِ عن مُعَسْكَرِ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ حينَ وافَقَ على التَّحْكيمِ، وانْتَهى بهمُ الأمْرُ إلى تَكْفيرِ المُعَسْكَرَينِ، واعْتِبارِ بِلادِ الإسلامِ دارَ حَرْبٍ،

فلم يَزالوا في حَرْبٍ معَ الطَّرَفَينِ، وقد اخْتَلَفَ الخَوارِجُ أنْفُسُهم إلى فِرَقٍ مُخْتلِفةٍ؛ كالأزارِقةِ والنَّجَداتِ والصُّفْريَّةِ والإباضِيَّةِ.

فَضْلًا عن الثَّوْراتِ والفِتَنِ الَّتي لم يَخْلُ مِنها زَمَنُ خَليفةٍ مِن خُلَفاءِ بَني أُمَيَّةَ، مِثْلُ ثَوْرةِ ابنِ الأشْعَثِ، ويَزيدَ بنِ المُهَلَّبِ، وغيْرِ ذلك، إلَّا أنَّ الأحْزابَ الَّتي اسْتَمَرَّتْ طَويلًا: الحِزْبُ الأُمَوِيُّ، والشِّيعةُ، والخَوارِجُ، والزُّبَيْريُّونَ.

وقد أثْرَتْ تلك الفِتَنُ والحُروبُ ذلك الجانِبَ الأدَبيَّ؛ فكَثُرَتِ الخُطَبُ واسْتَعانَتْ كلُّ فِرْقةٍ بالخُطَباءِ والكُتَّابِ، كما اسْتَعانَتْ بالشُّعَراءِ، فكانَ لكلِّ حِزْبٍ خَطيبٌ مُفوَّهٌ وكاتِبٌ مُسدَّدٌ، وكلُّ خَطيبٍ يُبادِرُ إلى نُصْرةِ حِزْبِه، ويُسارِعُ إلى إقْناعِ الحُضورِ بصِحَّةِ مَذهَبِه، مُسْتَعينًا بالأدَلَّةِ والبَراهينِ العَقْليَّةِ للإقْناعِ، وبالبَلاغةِ والصُّوَرِ البَيانيَّةِ للتَّأثيرِ في النُّفوسِ والأرْواحِ.

أمَّا الجانِبُ الدِّينيُّ فقد تمثَّل في شِقَّينِ؛ الأوَّلُ: خُطَباءُ الوَعْظِ والقِصَصِ؛ حيثُ انْتَشَرَ كثيرًا الخُطَباءُ والوُعَّاظُ والقُصَّاصُ، الَّذين يَهتَمُّونَ ببَيانِ أحْكامِ الدِّينِ وتَفْسيرِ القُرآنِ، ويَربِطونَ آياتِه بما لديهم مِن القِصَصِ مِن أخْبارِ السَّابِقينَ وحِكاياتِهم الَّتي انْتَشَرَتْ في السُّنَّةِ والكُتُبِ السَّماوِيَّةِ القَديمةِ، وقد ساعَدَ في نَشْرِ ذلك مَحبَّةُ النَّاسِ وشَغَفُهم بالقِصَصِ والأخْبارِ، فكانَ في كلِّ مَسجِدٍ تَقْريبًا وُعَّاظٌ وقُصَّاصٌ.

الشِّقُّ الثَّاني مِن ذلك الجانِبِ تَمثَّلَ في الاخْتِلافاتِ العَقَديَّةِ الَّتي حَدَثَتْ في ذلك الزَّمانِ، ابْتِداءً مِن القَدَريَّةِ الَّذين يَنْفونَ القَدَرَ، أو الَّذين يَزعُمونَ أنَّ الإنْسانَ مُجبَرٌ مَقْهورٌ غيْرُ مُخيَّرٍ، ثُمَّ فِتْنةِ المُعْتزِلةِ وقَولِهم بأنَّ صاحِبَ الكَبيرةِ في مَنزِلةٍ بَيْنَ مَنزِلَتَينِ؛ فلا هو بكافِرٍ كما يقولُ الخَوارِجُ، ولا مُسلِمٍ كما يقولُ أهْلُ السُّنَّةِ، ثُمَّ انْخِراطِهم بعْدَ ذلك في نَفْيِ صِفاتِ اللهِ تعالى، وادِّعائِهم بأنَّ القُرآنَ مَخْلوقٌ،

وأخيرًا تَمثَّلَ الجانِبُ العَقْليُّ في ازْدِهارِ الحَياةِ العِلميَّةِ زَمانَ الأُمَوِيِّينَ؛ فقدْ حرَصوا على تَرْجمةِ الكُتُبِ العِلميَّةِ، كما كانَ بعضُ الأُمَراءِ مُهْتمًّا بالعِلمِ كخالِدِ بنِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ الَّذي اهْتَمَّ بكُتُبِ الكيمياءِ والطِّبِّ ونَحْوِها، وأرْسَلَ مَن يَأتي له بها مِن الغَرْبِ، هذا كلُّه فَضْلًا عن دُخولِ الأجْناسِ المُخْتلِفةِ في الإسلامِ، وإفادةِ العَربِ بعُلومِها ومَعارِفِها، فأثَّرَ ذلك في تَوْسِعةِ مَدارِكِ العَربيِّ وتَدْعيمِ طُرُقِه في الاحْتِجاجِ والإقْناعِ .

خَصائِصُ النَّثْرِ في العَصْرِ الأُمَوِيِّ

١- سُهولةُ الألْفاظِ وبَساطتُها، ووُضوحُ المَعاني وسَلاستُها.

٢- المَيلُ إلى السَّجْعِ قَليلًا بما يُساعِدُ في التَّأثيرِ، وليس على حِسابِ المَعنى.

٣- الاهْتِمامُ بالصُّوَرِ البَيانيَّةِ مِن تَشْبيهٍ واسْتِعارةٍ ومَجازٍ وكِنايةٍ.

٤- اسْتِخدامُ بعضِ المُحسِّناتِ البَديعيَّةِ؛ اللَّفْظيَّةِ والمَعْنويَّةِ.

٥- الاعْتِمادُ على الجُمَلِ القَصيرةِ،

٦- التَّأثُّرُ بالقُرآنِ الكَريمِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، والاسْتِشْهادُ بِهما والاقْتِباسُ مِنهما.

٧- الاسْتِشْهادُ بالشِّعْرِ والحِكَمِ والأمْثالِ.

الفُنونُ النَّثْريَّةُ في زَمانِ الأُمَوِيِّينَ.

لخَطابةُ

الرَّسائِلُ

الوَصايا

مفهوم النثر العباسي وتطوره

إذا تتبعنا ما ظهر في الأدب العربي من مؤلفات ودراسات وأبحاث، فإننا نجد أن الشعر قد استأثر بالمقام الأول من اهتمام الدارسين، واحتل مكان الصدارة في المؤلفات القديمة والدراسات الحديثة.

تطور النثر العباسي

تميز العصر العباسي بمظاهر جديدة لم تكن معهودة من قبل في العصر الأموي، تلك هي ظهور ثقافات جديدة وافدة، انصبت على العرب من الأمم العريقة المجاورة

والذي لا ريب فيه أن هذه الثقافات الوافدة – فارسية وهندية ويونانية– قد أغنت طاقة اللغة العربية بفيض من المعاني العقلية والفلسفية.

وبذلك أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشعبة تمدها روافد كبيرة من الفرس والهند واليونان وهكذا أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك:

١– النثر العلمي: الذي ساد في كتب الفقه والطب والفلك والتاريخ وتقويم البلدان.

٢– النثر الفلسفي: الذي غلب على كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

٣– النثر الفني الخالص أو النثر الأدبي: الذي تجلى في كتب الأدب والنقد والرسائل والمقامات كما أصبح النثر العربي في العصر العباسي في صورته الفنية متعدد الأنماط وكانت بعض صوره امتداداً للقديم من مثل ما كان من خطب الخلفاء الأول من بني العباس وتوقيعاتهم، ومن ذلك أيضاً نثر ابن المقفع في طابعه العام.

وقد استحدثت العربية – حينئذ– أسلوباً متميزاً حيث استبعدت الألفاظ البدوية الغريبة من العصر والحضارة مع العناية في ذات الوقت بفصاحة اللفظ وجزالته واتخذت اللغة لنفسها أصولاً بيانية خاصة كما أفادت من بلاغة الأمم الأخرى.

وقد تفاعل النثر مع ثقافات العصر محتفظاً بمقوماته العربية الأصيلة ، فلم يحدث الازدواج اللغوي الذي يعرض اللغة للضياع ، بل جدت فنون حديثة عن طريق المترجمين والمتكلمين والكتاب المجددين.

ومن الصواب القول إن العصر العباسي الأول كان بحق عصر النقل والترجمة ، فقد خطت الترجمة خطوات واسعة – في العصر العباسي الثاني على يد حنين بن اسحق وتلامذته.

بعض المؤلفات في النثر العباسي

١– الكامل للمبرد.

٢– أدب الكاتب لابن قتيبة.

٣– كتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر.

٤– رسالة في موازين البلاغة وتسمى بالعذراء لإبراهيم بن المدبر.

عوامل ازدهار وتطور النثر العباسي

١_ ازدهار حركة الترجمة والتأثر بالآثار الأدبية الأجنبية والمناظرات والأفكار البلاغية لدى الفرس واليونان والهند.

٢_ انتشار الوعاظ والقصاص والنساك في المسجد والساحات

٣_ ظهور المذاهب الفلسفية وأقوال الحكماء في الثقافات الأجنبية في الأدب العربي.

٤_ احتدام الجدل الديني وقيام المناظرات بين الفرق الإسلامية.

٦- اهتمام الكتاب بالنثر العربي في هذا العصر.

٧-تأثره ببلاغة وأساليب القرآن الكريم الكريم والحديث النبوي الشريف.

النثر الفني في العصر الحديث

بدأت بنهاية القرن الثامن عشر حركة انبعاث في الأدب العربي الحديث أثرت على الشعر والنثر معا، وأدت إلى لون من النضج والازدهار. وكان من أظهر عوامل هذه النهضة في النثر الحديث ظهور لون جديد من الكتابة المرسلة المتحررة من إسار السجع وصنعة الجناس وقيود البديع. ويُعد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي من رواد هذا اللون من النثر. وقد تأثر بالجبرتي جيل من الكتاب الشباب تخلصوا من ضروب البديع وعمدوا إلى التعبير المرسل وكان من أشهرهم ناصيف اليازجي، وأحمد فارس الشدياق.

نهض النثر عقب ذلك نهضة واسعة، وتحرر تمامًا من تلك القيود البديعية، فسادت بين الكتاب والخطباء أساليب من الفصاحة والبلاغة والبيان تبعد عن التكلف والصنعة، وكان من أقطاب هذه المدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسائله المشهورة والشيخ محمد عبده في مقالاته الاجتماعية والدينية، ومصطفى كامل في خطبه الوطنية السياسية، والأديب كان من أشهر رجاله محمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد وطه حسين

العوامل في تطور النثر العربي الحديث

الاتصال الفكري والثقافي بين الشرق والغرب عن طريق التعليم والبعثات والترجمة ودور الطباعة ومنشآت الصحف والمكتبات وما إلى ذلك من وسائل ثقافية وفكرية كان النثر فارس ميدانها

وكان لازدهار النثر الفني عوامل كثيرة من بينها: العناية بدراسة اللغة العربية وآدابها في الأزهر والمدارس والمعاهد والجامعات، وإحياء مصادر الأدب العربي القديم وطبع أحسن مؤلفات الأدباء المعاصرين، وظهور المجلات الأدبية، وعناية الصحف اليومية بالأدب، وإنشاء دارالكتب المصرية، وكثرة ما ترجم من آداب الغرب إلى العربية، وتعدد الثورات الشعبية، التي احتاجت للخطابة، وقيام الصحف

نهضة الكتابة

١. حملة نابليون، فقد جلب نابليون معه في هذه الحملة المطبعة، وأنشأ مسرحا للتمثيل، ومدارس لأبناء الفرنسيين، وجريدتين إحداهما بالعربية، ومصنعاً للورق، ومرصداً فلكيا، كما أقام مكتبة عامة، وغير ذلك من الوسائل الحديثة.

٢. العودة إلى الأصول والمصادر العربية

٣. ظهور حركات الإصلاح الديني والسياسي في البلاد العربية، كحركات الإصلاح التي قادها جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي في مصر.

٤ . يقظة الأمة العربية

٥. الطباعة

٦. الصحافة :

٧. الترجمة

وقد وقف وراء هذه اليقظة أعلام الفكر والأدب في طليعتهم :

١-رفاعة رافع الطهطاوي

٢-ناصيف اليازجي

٣-بطرس البستاني :

محمد مؤيد حمود